الفصل الثاني

وجوب محبته صلى اللّه عليه وسلم

تعريف المحبة

(أ) الحب في اللغة :

الحب كلمة دائرة على ألسنة الناس، رمز لتعلق القلوب وميلها إلى ما ترضاه وتستحسنه . ويطلق في اللغة على صفاء المودة .

جاء في لسان العرب :

(**الحب** : نقيض البغض . **والحب** : الوداد والمحبة . . . وأحب فهو محب . . . **والمحبة أيضا** : اسم للحب . : . وتحبب إليه تودد . وامرأة محبة لزوجها ، ومحب أيضا . . . **والحب** : الحبيب ، مثل خدن وخدين . . . **والحب** : المحبوب ، وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

. . . . **وحببت إليه** : صرت حبيبا . . . **وهم يتحابون** : أي يحب بعضهم بعضا .. **والتحبب** : إظهار الحب) [1] .

وهذا النص كغيره من النصوص في المعاجم قد اقتصر على تعريف الحب بنقيضه أو بمرادفه لكن نرى الراغب الأصفهاني يفصل أكثر **فيقول** :

(. . . . **حببت فلانا يقال في الأصل بمعنى** : أصبت حبة قلبه ، **نحو** : شغفته وكبدته وفأدته [2] .

وأحببت فلانا : جعلت قلبي معرضا لحبه ، لكن في التعارف وضع محبوب موضع محب ، واستعمل حببت أيضا في موضع أحببت) .

(ب) تعريف المحبة عند العلماء :

ثم يستطرد الراغب فيقول :

(والمحبة إرادة ما تراه خيرا أو تظنه خيرا . وهي على ثلاثة أوجه :

- محبة للذة ، كمحبة الرجل المرأة ، ومنه :

{ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ...} (الإنسان : ٨) .

---

١) لسان العرب . مادة « حبب » ١ / ٢٨٩ .
٢) بمعنى أصبت شغاف قلبه ، وكبده ، وفؤاده .

- محبة للنفع ، كمحبة شيء ينتفع به ، ومنه :

{ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ ...} (الصف : ١٣) .

- ومحبة للفضل ، كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض من أجل العلم) [١] .

وإذا كان الراغب هنا قد فسر المحبة بإرادة ما يظنه الإنسان خيرا ، فقد كان " القاضي عياض أكثر وضوحا حين عرف المحبة : بأنها ميل الإنسان إلى ما يوافقه .

يقول القاضي عياض : (وحقيقة المحبة : الميل إلى ما يوافق الإنسان ، وتكون موافقته له :

١ - إما لأستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له .

٢ - أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء ، وأهل المعروف المأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة ، فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء .

٣ - أو يكون حبه إياه لمرافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها) [٢] .

وعلى ذلك فهذا الميل إما أن يكون حسيا أو عقليا أو قلبيا . وعلى هذه الجوانب الثلاثة- منفردة أو مجتمعة- يقوم الحب في القلب ، فما وافقها مال إليه القلب وأحبه وما خالفها نفر عنه وكرهه .

وأصل الحب قوة في القلب تحرك إرادة الإنسان لتحصيل المحبوبات أصلا ودفع المكروهات تبعا ، فتميل النفس إلى الشيء إن كان محبوبا وتنفر عنه إن كان مكروها [٣] .

---

١) المفردات في غريب القرآن . لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . تحقيق . محمد سيد كيلاني . طبع مطبعة مصطفى الحلبي . مصر ١٩٦٢م ، مادة « حب » ص١٠٥ .

٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى . للقاضي عياض اليحصبي طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ٢ / ٢٩ - ٣٠ .

٣) انظر . رسالة العبودية ، ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ، ١٠ / ١٩٢ .

ويتوقف تعلق النفس بالشيء حبا ، أو النفور عنه كرها على الإدراك الفطري أو الكسبي .

فالحب إذن ثمرة الإدراك والمعرفة ، فكلما كانت المعرفة أتم كان الحب أقوى والعكس صحيح .

لأجل هذا كان الناس متفاوتين في حبهم للأشياء والأشخاص تفاوتا بينا تبعا لتفاوت إدراكهم ومعرفتهم .

وإذا كانت وسائل المعرفة والإدراك لدى المرء سليمة وصحيحة أحب الإنسان ما ينفعه ويصلحه ، وإلا أحب الضار يحسبه نافعا والفاسد يحسبه صالحا .

وبناء على هذا يمكن أن نعرف الحب بأنه : ميل القلب فطرة أو إدراكا ومعرفة الى ما يوافقه ويستحسنه .

(ج) المحبة في النصوص الشريعة :

أما في الشرع فقد ورد لفظ الحب في القرآن والسنة بكل جوانبه الطبعية والشرعية .

فالجوانب الفطرية أو الطبعية مثل حب الآباء والأبناء والأزواج وحب المال وسائر الشهوات .

قال تعالى :

{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ } (آل عمران : ١٤) .

وقال تعالى :

{ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا } (الفجر : ٢٠) .

وقال :

{ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ } (العاديات : ٨) .

وقال :

{ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ } (القيامة : ٢٠)

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين : في حب الدنيا وطول الأمل »[١]، وأخرج عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان حب المال وطول العمر »[٢] .

هذه هي المحبة الفطرية الجبلية كما وردت في النصوص الشرعية ، وأما المحبة الشرعية- أعني حب الله ورسوله- فالنصوص الواردة فيها كثيرة وإليك بيانها :

(د) حب الله عز وجل :

ولنبدأ بحب الله تعالى ، أما النصوص الواردة في حب الرسول صلى الله عليه وسلم فسوف تأتي في المبحث القادم .

فقد جاء لفظ الحب في القرآن والسنة لبيان حب الله لعباده المؤمنين وذلك **في مثل قوله تعالى :**

{ ...فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ...} (المائدة : ٥٤) .

وقوله تعالى :

{ ...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ } (البقرة : ٢٢٢)

وقوله تعالى :

{ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ }(الصف :٤).

وفيما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله قال : « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » ....) الحديث[٣] .

---

١) صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب من بلغ ستين سنة ٨ / ١١١ .
٢) صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب من بلغ ستين سنة ٨ / ١١١ .
٣) صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب التواضع ، ٨ / ١٣١ .

وأخـــرج البخـــاري ومســـلم بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها : « أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ " قل هو الله أحد " فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ " فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أخبروه أن الله يحبه » [1] .

كما ورد ما يثبت حب المؤمنين لربهم عز وجل وذلك كقوله تعالى :

{ ...وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ...} (البقرة : ١٦٥) .

وقوله تعالى :

{ ...فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ...} (المائدة : ٥٤) .

وقوله تعالى :

{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...} (آل عمران : ٣١) .

وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك (أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : « متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله .

قال : أنت مع من أحببت » [2] .

ومن ثم يتبين لنا أن الحب علاقة متبادلة بين الله تعالى وبين عباده المؤمنين . لكن حب الله لعباده صفة من صفاته منزهة عن مشابهة صفات المخلوقين ونصوص الكتاب والسنة تؤكد ذلك أتم تأكيد .

---

١) صحيح البخاري . كتاب التوحيد . باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، ٩ / ١٤٠-١٤١ . ومسلم . كتاب صلاة المسافرين . باب فضل قراءة « قل هو الله أحد ، ١ / ٥٥٧ .

٢) صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب علامة الحب في الله ، ٨ / ٤٩ ، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة . باب المرء مع من أحب ، ٤ / ٢٠٣٣ .

وجمهور السلف على إثبات حب الله لعباده كصفة من صفاته كما يليق بذاته سبحانه ، بلا كيف ولا تأويل ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها كما أنهم يثبتون محبة العباد لربهم محبة حقيقية قلبية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(وهذه المحبة حق كما نطق بها الكتاب والسنة ، والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشايخ الدين المتبعون وأئمة التصوف أن الله سبحانه محبوب لذاته محبة حقيقية ، بل هي أكمل محبة ، **فإنها كما قال تعالى** :

{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ } (البقرة : ١٦٥)

وكذلك هو سبحانه يحب عباده المؤمنين محبة حقيقية) [١] .

ومع وضوح هذا الأمر إلا أن أهل الأهواء والبدع من الجهمية ومن تابعهم من المتكلمين حادوا عن إثبات حب الله لعباده كصفة من صفاته سبحان وتعالى . متأولين محبته سبحانه بإرادة الإحسان ، أو بإحسانه وإنعامه على عباده . كما أنهم أولوا محبة العباد لربهم بأنها محبة طاعته ، أو محبة إحسانه وثوابه [٢] .

وهذا التأويل- مع بطلانه- يؤدي إلى إنكار المحبة ، ومتى بطلت المحبة بطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ، وخلت الأعمال من روحها ، إذ هي أصل كما عمل ديني . فإنكارهم للمحبة إنكار لحقيقة الإسلام ، فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله ، فمن لا محبة في قلبه لله ورسوله فلا إيمان له ألبتة [٣] .

---

١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب . عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد . طبع مكتبة المعارف . الرباط . المغرب ١٠ / ٦٦ . وانظر تفسير القاسمي . المسمى محاسن التأويل . محمد جمال الدين القاسمي . تحقيق . محمد فؤاد عبد الباقي . ط ٢ ، طبع دار الفكر . بيروت ، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨ م ، ٦ / ٢٥٣- ٢٥٥ .

٢)) انظر في بيان ذلك : الكشاف عن حقائق التنزيل في وجوه التأويل . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري . ط١ . طبع دار الفكر . بيروت ، ١٩٧٧ ، ١ / ٦٢١- ٦٢٢ . والتفسير الكبير للفخر الرازي . ط٣ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٤ / ٢٠٥ - ٢٠٨ .

٣)) انظر في الرد على هذا التأويل . مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ٦ / ٤٧٧ وما بعدها ، ١٠ / ٦٦ وما بعدها والنبوات لابن تيمية ، ص ٦٦ وما بعدها . ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . لابن القيم الجوزي تحقيق . محمد حامد الفقي . طبع دار الكتاب العربي . بيروت ، ١٣٩٢هـ ٣ / ١٨ وما بعدها .

(هـ) محبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

وبعد أن تكلمنا عن ورود لفظ الحب في اللغة والشرع نريد أن نخلص إلى تحديد مفهوم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فأقول إنه لما كان الحب لغة : ميل القلب فطرة أو إدراكا ومعرفة إلى ما يوافقه ويستحسنه .

فكذلك محبة الرسول صلى الله عليه وسلم معناها :

أن يميل قلب المسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ميلا يتجلى فيه إيثاره صلى الله عليه وسلم على كل محبوب من نفس ووالد وولد والناس أجمعين وذلك لما- خصه الله من كريم الخصال وعظيم الشمائل ، وما أجراه على يديه من صنوف الخير والبركات لأمته ، وما امتن الله على العباد ببعثته ورسالته إلى غير ذلك من الأسباب الموجبة لمحبته عقلا وشرعا .

يقول النووي ملخصا كلام القاضي عياض :

(**وبالجملة فأصل المحبة** : الميل إلى ما يوافق المحب ، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه ، كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها ، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة كحب الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقا ، وقد يكون لإحسانه إليه ودفع المضار والمكاره عنه .

وهذه المعاني كلها موجودة في النبي صلى الله عليه وسلم لما جمع من جمال الظاهر والباطن ، وكمال خلال الجلال وأنواع الفضائل ، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعم والأبعاد من الجحيم) ([1]) .

وحب المسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عمل قلبي من أجل أعمال القلوب وأمر وجداني يجده المسلم في قلبه ، وعاطفة طيبة تجيش بها نفسه ، وإن تفاوتت درجة الشعور بهذا الحب تبعا لقوة الإيمان أو ضعفه .

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي . طبع دار الفكر ، بيروت ١٤٠١هـ ، ٢ / ١٤ .

وليس هذا الحب أمرا عقليا مجردا عن الميل القلبي كما ذهب إليه البيضاوي فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر: عند شرح قوله صلى الله عليه وسلم: " أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما قال:

(المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وإن كان على خلاف هوى النفس، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله.

فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهي إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل- والعقل يقتضي رجحان ذلك- تمرن على الائتمار بأمره حيث يصير هواه تبعا له ويلتذ به التذاذا عقليا، إذ الالتذاذ العقلي: إدراك مما هو كمال وخير من حيث هو كذلك) [1].

وقد تعقبه صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد بقوله:

(.... كلامه على قواعد الجهمية ونحوهم من نفي محبة المؤمنين لربهم ومحبته لهم والحق بخلاف ذلك، بل المراد في الحديث أن يكون الله ورسوله عند العبد أحب إليه مما سواهما حبا قلبيا.

.... وأما مجرد إيثار ما يقتضي العقل رجحانه وإن كان على خلاف هوى النذر كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه.

.... فهذا قد يكون في بعض الأمور علامة على الحب ولازما له. لا أنه الحب) [2]

ثم إن إدراك العقل للكمال أو الخير أو أي معنى من المعاني الفاضلة لا يكفي حتى نسميه حبا، بل لا بد مع ذلك من الميل القلبي والتعلق النفسي.

وتمثيله حال من آثر محبة الله ورسوله- وإن كان على خلاف هوى النفس- بحال المريض مع الدواء المر- الذي تعافه نفسه ويميل عقله إلى تناوله- تمثيل غير مناسب وغير لائق أيضا.

---

١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ط دار المعرفة بيروت ١ / ٦٠- ٦١.
٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب. ط٣، طبع المكتب الإسلامي. بيروت، ١٣٩٧هـ، ص٤٧٦، ٤٧٧.

لأن من كانت محبته لله ورسوله كمحبة المريض للدواء المرجدير بأن يقال أنه وجد مرارة الإيمان لا حلاوته .

وإنما يجد حلاوة الإيمان من كان هواه وقلبه في تلك المحبة مناصرا لعقله ومسايرا له جنبا إلى جنب [1] .

وإذا كان هناك من فسر حب الله ورسوله بأنه حب عقلي ، فهناك من يظن أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تعني طاعته ، وهذا فهم خاطئ إذ أن محبته هي أساس طاعته ، والطاعة شرط للمحبة وثمرتها .

فالطاعة أمر زائد على المحبة ومترتب عليها .

كما أن هذا الحب أمر زائد على الإعجاب بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وسمو أخلاقه وعظمة تعاليمه .

إذ نرى كثيرا ممن لا ينتسبون إلى الإسلام ولا يؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم يبدون إعجابهم وتقديرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويفيضون في بيان جوانب عظمته ، ومع ذلك لا يمكن أن نسمي هذا الإعجاب حبا شرعيا حتى يكون هناك إيمان بدين الإسلام .

ولقد كان أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم يحبه ويحوطه ويصد عنه أذى قريش بما استطاع . ومع هذا فلم يثمر ذلك حبا وإيمانا منه بدين الإسلام لأن حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان حب قرابة وحمية جاهلية .

نخلص من هذا إلى أن المحبة الحقيقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم هي المحبة الشرعية الإرادية الاختيارية ، وهي عمل قلبي من أجل أعمال القلوب ، ورابطة من أوثق روابط النفوس تربط المسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعل قلبه وهمه وفكره وإرادته متوجهة لتحصيل ما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .

---

١) انظر . المختار من كنوز السنة . محمد عبد الله دراز . راجعه وأشرف على طبعه الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، ط٤ ، قطر ص٤٤٠ .

(و) الصلة بين محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم :

الصلة بين المحبتين هي صلة الفرع بالأصل والتابع بالمتبوع فمحبتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبتنا لله عز وجل ، إذ هي أساس المحبة الدينية الشرعية ومصدرها ، وكل ما سواها من المحاب الشرعية تبع لها . وذلك كمحبة الأنبياء والصالحين ومحبة كل ما يحبه الله ورسوله .

قال ابن تيمية :

(وليس للخلق محبة أعظم ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم ، وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه فإن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لأجل الله ويطاع لأجل الله ويتبع لأجل الله .

كما قال تعالى :

{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ } (آل عمران : ٣١) [١] .

وعلى ذلك فلا تنفك إحدى المحبتين عن الأخرى فمن أحب الله أحب رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك سائر رسله ومحبة الرسول تبع لمحبة من أرسله . ولأجل هذا جاء حب الرسول صلى الله عليه وسلم مقترنا بحب الله عز وجل في أكثر النصوص الشرعية .

قال تعالى :

{ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ...} (التوبة:٢٤)

وفي الحديث « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » [٢] .

---

١) مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٦٤٩ .
٢) صحيح البخاري . كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان ١ / ١٠ .

وهـذا الارتبـاط بـين المحبـتين ارتبـاط شـرعي لا ينفـك . فمـن زعـم أنـه يحـب الله ولم يحب رسوله صلى الله عليه وسلم أو العكس فكلامه باطل واعتقاده فاسد .[1]

وجوب محبة النبي صلي الله عليه وسلم :

إن محبـة الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم عقد مـن عقـود الإيمـان ولـزوم سـنته وإتبـاع هدية علامة المحبة الصادقة لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه من أعظم أسباب محبة المولى عزوجل .

والمولى عزوجل قد افترض على عباده محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسد الطريق إلي جنته إلا من سلك خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الحسن البصري : ادعي ناس محبة الله عزوجل فابتلاهم بهذه الآية.

" قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ..." (آل عمران:٣١)

الأدلة من كتاب والسنة علي وجوب محبته صلي الله عليه وسلم :

وأدلة هذا كثيرة من القرآن والسنة .

فمن القرآن :

(أ) قوله تعالى :

{ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ }(التوبة : ٢٤) .

ففي هذه الآية توعد الله من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد **في سبيله بقوله :**

{ ...فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ ...} (التوبة : ٢٤) .

---

١)عبد الرءوف محمد عثمان ، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، الطبعة : الأولى ، الناشر : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة – الرياض ، تاريخ النشر:١٤١٤هـ ، ص ٤٠ – ٤٩ .

ومعلوم أن الله لا يتوعد أحدا بمثل هذا الوعيد الشديد إلا على ترك واجب أو فعل محرم .

فعلم بذلك أنه يجب على كل مؤمن أن يكون الله ورسوله ، والجهاد في سبيله أحب إليه من الأهل والإخوان والأموال والأوطان .

يقول القاضي عياض مستدلا بهذه الآية :

(فكفى بهذا حضا وتنبها ودلالة وحجة على إلزام محبته ، ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله ، **وتوعدهم بقوله تعالى :**

{ ...فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ...}

ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله) [1] .

وقد ذكر الله في هذه الآية ثمانية أصناف وهم الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال المكتسبة والتجارات والمساكن والديار . وهذه الأصناف تمثل بمجموعها كافة الروابط الاجتماعية والاقتصادية وعليها مدار مصالح الخلق ومعايشهم . وهي التي تجذب الإنسان إلى الأرض وتثقله عن الجهاد في ، سبيل الله ما لم يكن حب الله ورسوله مستعليا في قلب المسلم على كل هذه الروابط والمصالح .

وفي ذكر الله للجهاد مقرونا بحبه سبحانه وتعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه من أظهر العلامات على ذلك الحب لأنه هو المحك الذي يتجلى فيه صدق هذا الحب وإيثاره على غيره من الكتاب التي ذكرها الله في هذه الآية .

ومن رحمة الله عز رجل أنه لم يذم حب الأهل والأقارب والأزواج ولا حب المال المتكسب والمساكن ولم ينه عن ذلك . وإنما جعل من مقتضى الإيمان إيثار محبة الله ورسوله على حب هذه الأنواع ، وكذلك تقديم الجهاد إذا وجب عليها .

وهذا هو حال المؤمنين الصادقين في حبهم لله ورسوله [1] .

---

١) الشفا ، ٢ / ١٨ .

(ب) قوله تعالى :

{ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ } (الأحزاب : ٦)

فهذه الآية إخبار عن مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين ، كما أنها أيضا إخبار عن الحال التي ينبغي أن يكون فيها المؤمنون مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو أولى بهم من أنفسهم ولا يكون كذلك حتى يكون أحب إليهم من أنفسهم .

ويبين ابن القيم أن هذه الآية دليل على أن من لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم أولى به من نفسه فليس من المؤمنين ثم يوضح أن هذه الأولوية تتضمن أمرين :

١ - (. . . أن يكون أحب إلى العبد من نفسه ، لأن الأولوية أصلها الحب ، ونفس العبد أحب إليه من غيره ومع هذا يجب ان يكون الرسول أولى به منها ، وأحب إليه منها ، فبذلك يحصل له اسم الإيمان .

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره وإيثاره على ما سواه .

٢ - **ومنها** : أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلا ، بل الحكم على نفسه للرسول صلى الله عليه وسلم يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها) [٢] .

فتبين من هذا أنه يجب على كل مؤمن أن يكون الرسول أولى به من نفسه في كل شيء ، وأن يكون حكمه صلى الله عليه وسلم في أي شيء مقدما على رغبات النفس وتطلعاتها ، بل إن الحياة لتعد هينة ورخيصة بجانب تحقيق ما فرضه الله ورسوله وإن كان على خلاف هوى النفس . لأن نفوسنا تدعونا إلى الهلاك ، والرسول صلى الله عليه وسلم يدعونا إلى النجاة فكان أولى بنا من أنفسنا صلى الله عليه وسلم .

وحينما أيقن المسلمون الأولون بذلك أعزهم الله ومكن لهم في الأرض . فلما غلبت الأهواء واتبعت الشهوات صار الحال مبدلا معكوسا . ذلة وهوان بعد عزة وضياع وتفرق بعد القوة والتمكين . والسبب هو تقديم الأهواء وشهوات الأنفس عل ما يحبه الله ورسوله .

---

١) انظر تفسير المنار - محمد رشيد رضا - ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٠ / ٢٢٥ - ٢٤٢ .

٢) الرسالة التبوكية . لابن القيم . مراجعة الشيخ عبد الطاهر أبي السمح ، ط١ ، نشر المطبعة السلفية ومكتبتها مكة المكرمة ، ١٣٤٧ هـ ، ص ٢١- ٢٢ .

الأدلة من السنة :

وقد جاءت الأحاديث لتؤكد مدلول هاتين الآيتين- أبلغ تأكيد وأوضحه ألا وهو وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فمنها ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده » [1] ، وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » [2] .

فهذان الحديثان من أوضح الأدلة على وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن المؤمن لايستحق اسم الإيمان الكامل ولا يدخل في عداد الناجين حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين . والتعبير " بأحب " دليل صريح كل أن المحبة المطلوبة شرعا هي المحبة الراجحة ، وأن الإيمان الكامل متوقف على رجحان هذه المحبة في القلب على ما سواها من محبة سائر المخلوقين .

وخص الوالد والولد بالذكر لكونهما أعز خلق الله على الإنسان ، بل ربما كانا أحب إليه من نفسه ، وفي هذا تأكيد على أنه يجب أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إلى نفس المؤمن من كل حبيب وعزيز عليه من سائر البشر جميعا [3] .

ونفى الإيمان في هذا الحديث هو نفى لكمال الإيمان الواجب الذي ينجو به صاحبه من الوعيد ويستحق دخول الجنة بفضل الله . وذلك لأن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم من واجبات الإيمان فمن أخل بها فقد أخل بواجب من واجبات الإيمان التي لا يتم الإيمان بدونها .

---

١) صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ١ / ١٠ .
٢) صحيح البخاري كتاب الإيمان . باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ١ / ١٠ . ومسلم . كتاب الإيمان . باب وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ١ / ١٠ .
٣) انظر فتح الباري ، ١ / ٥٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(والمقصود هنا أن كل ما نفاه الله ورسوله من مسمى أحماء الأمور الواجبة كاسم الإيمان ، والإسلام والدين والصلاة والصيام والطهارة والحج ، وغير ذلك فإنما يكون لترك واجب من ذلك المسمى ، **ومن ذلك قوله تعالى** :

{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا } (النساء : ٦٥)

فلما نفى- الإيمان - حتى توجد هذه الغاية ، دل على أن هذه الغاية فرض على الناس ، فمن تركها كان من أهل الوعيد ، لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذكي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب ، فإن الله إنما وعد بذلك من فعل ما أمر به وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها فهو معرض للوعيد) [١] .

فنفي الإيمان عند عدم وجود المحبة الراجحة يدل على أنها واجبة وإن من لم يأت بها فقد تعرض للوعيد ، فإن الله ورسوله لا ينفيان اسم مسمى أمر- أمر به الله ورسوله - إلا إذا ترك بعض واجباته ، فأما إذا كان الفعل مستحب في العبادة لم ينفها لانتفاء المستحب ، ولو صح هذا لنفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج وحب الله ورسوله لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه ، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ، بل ولا أبو بكر ولا عمر ، فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفا عنه لجاز أن ينفى عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين وهذا لا يقوله عاقل . فإن قال إن المنفي هو الكمال ، فإن أراد أنه نفي الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة ، فقد صدق .

وإن أراد أنه نفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم [٢] .

---

١) مجموع الفتاوى ، ٧ / ١٥ وما بعدها.
٢) انظر المصدر نفسه ٧ / ٣٧ .

ومعنى هذا أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم من لوازم الإيمان وواجباته فلا يتحقق الإيمان بدونها ، ولا يستحق المؤمن اسم الإيمان بدونها ، وأن نفي الإيمان في الحديث إنما هو نفي لكمال الإيمان الواجب إذا لم توجد المحبة الراجحة على ما سواها من سائر المحاب فإذا وجدت هذه المحبة على هذه الصفة فهي دليل على كمال الإيمان بالنسبة لمن اتصف بها في هذا الجانب . وأما إذا لم توجد هذه المحبة على الصفة الراجحة كان من اتصف بها معرضا للوعيد لأنه أخل بواجب من واجبات الإيمان التي لا يتم الإيمان بدونها .

ومن الأحاديث الدالة على وجوب المحبة ما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن هشام قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . **فقال النبي صلى الله عليه وسلم** : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك قال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر »[1] .

فهذا الحديث يبين أنه لا يبلغ المسلم حقيقة الإيمان حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه .

وتلك هي قمة السمو في الحب حين يستعلي المسلم على رغبات النفس وشهواتها مؤثرا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل ذلك، ويتبين هذا إذا تعارض أي أمر أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم مع رغبة من رغبات النفس فأيهما تقدم كان الحكم له.

ونقل ابن حجر في شرح هذا الحديث عن بعض الزهاد أن :

(تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه الهلاك .

---

١) صحيح البخاري . كتاب الإيمان والنذور . باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم ٨ / ١٦١ .

... **وقال الخطابي** : حب الإنسان نفسه طبع ، وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه) .

ثم يستطرد ابن حجر معلقا على كلام الخطابي فيقول :

(فعلى هذا فجواب عمر أولا كان بحسب الطبع ، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى ، فأخبر بما اقتضاه الاختيار ولذلك حصل الجواب بقوله :

« الآن يا عمر » أي الآن عرفت فنطقت بما يجب) [1] .

إذا فلم يكن حصول المحبة عند عمر رضي الله عنه أمرا جديدا على نفسه وإنما كان الجديد لديه هو إدراكه لتلك المحبة والتفاته إليها .

وفي هذا الحديث إشارة إلى فضيلة التفكر .

فإن عمر رضي الله عنه لما أجاب أول الأمر لم يكن قد تفكر في كون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه ، فلما استوقفه الرسول صلى الله عليه وسلم وراجعه تفكر وامتحن نفسه فإذا به يصل إلى النتيجة المطلوبة . وهي كون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه . لأجل هذا كان التفكر سبيلا من سبل الوصول إلى هذه المحبة . فإذا تفكر المسلم في النفع الحاصل له من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه سبب نجاته في الدنيا والآخرة ، وأدرك ذلك بقلبه يقينا عظمت عند ذاك محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلبه .

وبعد أن تبين لنا وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بأدلته من القرآن والسنة . أود أن أشير إلى أن هذه المحبة- كما قال ابن رجب على درجتين :

١ - **إحداهما- فرض** : وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله ، وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم ، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية ، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه ، من تصديقه في كل ما أخبر به وطاعته فيما أمر به من الواجبات ، والانتهاء عما نهي عنه من المحرمات ، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة ، فهذا القدر لا بد منه ولا يتم الإيمان بدونه .

---

١) فتح الباري ، ١١ / ٥٢٨ .

٢ - **والدرجة الثانية** : فضل ، وهي المحبة التي تقتضى حسن التأسي به ، وتحقيق الاقتداء بسنته ، في أخلاقه ، وآدابه ، ونوافله ، وتطوعاته ، وأكله ، وشربه ، ولباسه ، وحسن محاضرته لأزواجه ، وغير ذلك من آدابه الكاملة ، وأخلاقه الطاهرة . والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه ، واهتزاز القلب من محبته ، وتعظيمه ، وتوقره ومحبة استماع كلامه ، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين . ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ، ورغبته في الآخرة [١] .

ومما سبق يتبين لنا أن المحبة والإيمان أمران متلازمان في قلب المؤمن تلازما مطردا يزيد أحدهما بزيادة الآخر وينقص بنقصانه .

كما جاء ذلك مبينا في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده والناس أجمعين » [٢] .

فقد وضح هذا الحديث العلاقة بين الإيمان والمحبة ، إذ علق كمال الإيمان الواجب على وجود المحبة الراجحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها شرطا يتوقف عليه الإيمان الذي ينجو به صاحبه من العقاب ويستحق دخول الجنة بفضل الله ورحمته .

ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان حب الرسول صلى الله عليه وسلم في قلب المسلم راجحا على حب ما سواه من النفس والمال والولد وسائر البشر أجمعين .

فمن كان حبه لنفسه أو لشيء من الأشياء كحبه لله ورسوله أو أشد فهو من أصحاب الوعيد لأن الله تعالى جعل المحبة الراجحة لله ورسوله من لوازم الإيمان وجعل ما دونها من أوصاف المشركين .

فقال تعالى :

{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ...}(البقرة : ١٦٥)

---

١) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس . لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي . طبع مطبعة الإمام . مصر ص٣٤ ، ٣٥ .
٢) سبق تخريجه.

فإذا قويت المحبة في قلب المؤمن وزدت أثمر ذلك زيادة في الإيمان ، وذاق العبد حينئذ حلاوة الإيمان .

كما في صحيح البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . . . » الحديث) [1] .

ولا يصل العبد إلى هذه المنزلة إلا إذا سعى في تحصيل ما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأفعال .

وكلما كان سعي العبد حثيثا لتحصيل هذه المحبوبات كلما ازداد إيمانه وذاق حلاوته ، وإذا قصر العبد في أداء ما كلف به والالتزام بآداب الشرع فإنما يرجع ذلك إلى نقصان في الإيمان الدال على نقصان المحبة . فزيادة المحبة دليل على زيادة الإيمان ونقصانها دليل على نقصان الإيمان .

أما أصل الإيمان فلا يوجد بدون وجود المحبة ، ولا يوجد مسلم ليس في قلبه محبة ولو كانت ضعيفة - لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتبين لنا من هذا أن العلاقة بين المحبة والإيمان علاقة وثيقة فوجود أحدهما متوقف على وجود الآخر وزيادة أحدهما تعني زيادة الآخر .[2]

علو منزلته صلى الله عليه وسلم

أما ما جاء في القرآن الكريم :

" لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ " (آل عمران : ١٦٤) .

وقد بينت هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم نعمه الله الكبرى التي امتن بها على البشرية جمعاء وخص منهم المسلمين المؤمنين .

---

١) صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب حلاوة الإيمان ١ / ١٠ . وصحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١ / ٦٦ .

٢) عبد الرءوف محمد عثمان ، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، ص ٥٠ – ٦٠ .

وهو صلى الله عليه وسلم النعمة التي عرفها المنكرين ثم جحدوا بها .

" يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ..." (النحل : ٨٣) .

وهو صلى الله عليه وسلم رحمة الله للعالمين عموماً :

" وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ " (الأنبياء : ١٠٧)

وللمؤمنين خصوصاً " لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ " (التوبة : ١٢٨) .

ومن فضله صلى الله عليه وسلم أن جعله الله سبحانه أمانا للناس من نزول العذاب ما دام بين أظهرهم :

" وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (الأنفال : ٣٣)

وجعل طاعته من طاعته :

" مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ..." (النساء : ٨٠)

ورضاه من رضاه :

" ...وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ..." (التوبة : ٦٢)

ومن فضله صلى الله عليه وسلم ما جاء في قوله تعالى :

" وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ "(آل عمران : ٨١)

ومن ذلك أن الله عز وجل غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما قال تعالي :

" لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا" (الفتح : ٢) .

وهو صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود :

" ...عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا " (الإسراء : ٧٩)

والمقام المحمود هو الشفاعة العظمي .

ومن ذلك أنه تعالي أقسم بحياته ولم يقسم بحياة أحد من خلقه غيره صلى الله عليه وسلم .

" لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ " (الحجر : ٧٢)

ومن ذلك أن الله عزوجل وقره في ندائه فناداه بأحب أسمائه وأسمي أوصافه فقال :

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ " (الأنفال : ٦٤)

وقال :

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ " (المائدة : ٤١)

ونادي الأنبياء بأسمائهم الأعلام .

ومن تمام الفضل والإكرام أن الله سبحانه وتعالي تولي الصلاة عليه بنفسه :

" إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا " (الأحزاب : ٥٦)

ومن ذلك حين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه وتسليم الحجر عليه وتكثير الطعام بين يديه وانشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم .

وما جاء في السنة النبوية المطهرة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع " رواه أحمد ومسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : " إن الله عزوجل اصطفي كفانه من ولد إسماعيل عليه السلام واصطفي قريشاً من كفانة واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم " رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : " أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر " رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : " وأتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أُمرت أن لا أفتح لأحد قبلك " رواه مسلم

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : " كانت خوله بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت عائشة : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل ؟ فلما نزلت " ترجي من تشاء منهن " قلت يا رسول الله ما أري ربك إلا يسارع في هواك " رواه البخاري .

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أوتيت خمساً لم يؤتهن نبي كان قبلي ، نصرت بالرعب فيرعب مني العدو من مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، تُعطَه فاختباتها شفاعة لأمتي ، وهي نائلة منكم إن شاء الله من لقي الله عزوجل لا يشرك به شيئاً " رواه أحمد وأبو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم : " مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بني داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويعجبون منها ويقولون : لولا موضع اللبنة " رواه مسلم : " فجئت فختمت الأنبياء " رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي .

وقال صلى الله عليه وسلم : " ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وصياً أوصاه الله عزوجل إليّ وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة " رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي .

وقال صلى الله عليه وسلم : " إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن أدم لمُنجدَل في طنيته ، وسأنبئكم بتأويل ذلك : دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسي قومه ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، وكذلك تري أمهات النبيين صلوات الله عليهم " رواه أحمد والطبراني والبيهقي والحاكم .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به أُتي بالبراق مُسرجاً ملجماً فاستصعب عليه ، فقال له جبريل : ما حماك على هذا فوالله ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه ، قال : فأرفض عرقاً " **(أي سال عرقا)** رواه الترمذي وابن حبان .

جملة من فضائله صلى الله عليه وسلم :-

وجمع القاضي عياض رحمه الله جملة مباركة منه حيث قال : فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلي ما لا يأخذه ولا يُعبِّر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخُلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤيا والقرب والدنو والوحي والشافعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلي الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثمّ والأمانة والهداية ورحمة للعالمين وإعطاء الرضي والسُّؤل والكوثر وسماع القول ولإتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيناء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلي الله وصلاة الله تعالي والملائكة والحكم بين الجمادات والعُجم (البهائم) وإحياء الموتى وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعَه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلي ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا مانحه

ذلك ومفضّله به إله غيره ، إلي ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس وحرابت السعادة والحسني والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم " [١]

وقال أبو حامد الغزالي : كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأسخى الناس ، لا يسأل شيئاً إلا أعطاه ثم يعود على قوت عامة فيؤثر منه حتى أنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء ، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ، وكان أشد الناس حياء لا ينبت بصره في وجه أحد ، ويجيب دعوة العبد والحر ، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يتكبر عن إجابة الأمة والمسكين ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسلمين ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ..... " أ . هـ . [٢]

---

(١) القاضي عياض ، الشفاء ، ٣٧/١ .
(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ٥٠١/٢ ــ ٥٠٣.